



## تمظهرات الزمن الرحلي في سيرتي الأمير عبد القادر والطيب المهاجي

د. سميرة أنساعد

أستاذ مساعد مكلف بالدروس.

قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات.

جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف.

### ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى تحديد خصائص الزمن الرحلي، وتعيين مستوياته، ومختلف مظاهره داخل النص، وقد وقع الاختيار للوصول إلى ذلك على رحلتين جزائريتين، ألفت إحداهما في القرن التاسع عشر على يد الأمير عبد القادر، والأخرى في القرن العشرين كتبها الشيخ محمد الطيب المهاجي، وبذلك ترجع الرحلتان إلى مرحلة بداية النهضة الأدبية في الجزائر، ومن أجل استقراء أساليب التزمين في الرحلتين تم الاعتماد على منهجين نقديين معاصرين هما: البنيوية، والسيميايات السردية، خاصة وأن فن الرحلة يستوعب العديد من أشكال الخطاب السردية كالخبر، والحكاية، والسيرة، والمذكرات، والقصة.



وأقسامه، وأنواعه، فئة اللغويين، أو اللسانيين، الذين تباينت آراؤهم في الموضوع، لكنهم اتفقوا في نقطة أساسية، وهي كون الزمن اللغوي، النحوي لا يخرج في كامل اللغات عن أقسامه الثلاثة الأساسية، وهي الماضي، والحاضر، والمستقبل، مهما اختلفت جزئيات تلك الأقسام، وتعددت داخل كل لغة، كما أن الزمن في حقيقته -حسب ما ذهب إليه الباحث اللساني بانفست- لا يمكن إدراكه ضمن مقولات التجربة الإنسانية الزمانية، إلا في نوع واحد منه، وهو الزمن اللساني، الذي يتصف بمراهنته لحظة الخطاب(الحاضر)، وانطلاقاً منه نستطيع اكتشاف لخصيتين زمنيتين مقابلتين لحاضر الخطاب، وهما: لحظة الحدث التي تستدعيها ذاكرة المخاطب، وهي لحظة غير معاصرة للحظة الخطاب، ولحظة حدث متوقع حدوثه في آن الخطاب.<sup>٤</sup>

وعالج الباحث دكرو((Ducrot مقولة الزمن، وتجلي مؤشرات الأربعة في اللغة، منها مؤشر الحقبة التي يدور حولها موضوع الخطاب، أو الملفوظ، ومؤشر زمن الفعل، أو الأفعال المنتخبة، والمؤشر الكرونولوجي، الذي يدخل فيه تحديد الوقت، الليل، والنهار، والشهور، والمناسبات، أما المؤشر الرابع، فهو الصيغة التي يرد فيها الفعل، التي تدل على زمن الحدث، وطبيعته(المنقضية، أو المستمرة).<sup>٥</sup>

واعتبر لو كاشيو((Lo cascio vincenzo الزمن عاملاً أساسياً في جعل الكلام نصاً منظماً، متى توفر على بعض عناصره، أو كلها، كاحتوائه الزمن البيولوجي، أو الفلكي، والزمن النفسي، السيكلوجي، الذي يعتبر نسبياً، ويقدر بقيم متغيرة باستمرار، وتفيد هذه المعطيات الزمنية في تحديد موقع الحادثة على محور الزمن الممتد، والأفقى<sup>٦</sup>، وضبط المدى الزمني، الذي شغلته، كما يفيد في اكتشاف علاقات: التابع، والتزامن، والتفاوت بين الأزمنة الثلاثة<sup>٧</sup>، وهي الفكرة التي أكدها سلفه ميشال بوتور، وهو يعالج تقنية الرواية؛ فقد وجد استحالة التزام الكاتب في العمل الروائي بالتسلسل الزمني للأحداث، في كامل المبنى الحكائي، بل لا بد وأن يحدث التناثر، والطباق الزمني عن طريق الانتقال من زمن إلى آخر، واستعمال تقنيي الاسترجاع، والاستباق.<sup>٨</sup>

ويبين رولان بارت في دراساته المختلفة للزمن في الخطاب الحكائي<sup>٩</sup>، اختصاص الحكاية بالماضي البسيط؛ لما له من طبيعة تعميمية، غير محددة للزمن بدقة، وهو الذي يلائم نمط الإبداع والحكاية، كما وجد ضرورة اعتماد المنطق، لاكتشاف النظام الذي يجري عليه الزمن في أي حكاية، باعتباره قسماً من أقسام الخطاب، وعنصراً سيميولوجياً دالاً، أما الزمن الحقيقي، فهو وهم مرجعي<sup>١٠</sup>، وكان لبارث خلال دراسته للزمن الحكائي، اهتمام خاص بالأسطورة، وبالزمن الأسطوري، الذي: «ينحى عن الأشياء صفحتها التاريخية ليجعل منها موجودات طبيعية لا تاريخ وراءها».<sup>١١</sup>

ووضح تودوروف في دراساته النقدية للزمن الفني(الزمن التخيلي المجازي)، مسألة التابع، الذي يجتهد المؤلف في تحقيقها داخل العمل القصصي، لكنه يخرج في مرات عديدة عنه، ليحدث ما سماه الباحث بالتحريف الزمني(Déformation temporelle)، الذي لا يمنع الكاتب من تداركه -حفاظاً على ترابط النص- من استخدام تقنيات خاصة كالتناوب، والتسلسل، والتضمين، وخلال مقارنة تودوروف لزمني القصة: في العالم المقدم، والخطاب المقدم له، اكتشف ثلاث علاقات تربط بينهما، وهي: التغيرات الزمنية، والمدة، والتواتر أو التكرار، وهي كلها تظهر على مستوى الأفعال، ضمن قسمين رئيسيين، يتعلقان بتلك الأحداث المحددة كرونولوجياً، أو المتتالية دون تأشير زمني لها، تظهر منعزلة عن حاضر الخطاب.<sup>١٢</sup>

أما جيرار جينات، فيعد من أشهر الدارسين في حقل تحليل

وقد استدعت طبيعة النص الرحلي ضرورة التركيز على نوعين من الزمن، وهما: زمن الرحلة الداخلي، وزمن تأليف الرحلة الخارجي، وقد تبين لنا بعد التحليل أن الزمن الأول لا يخرج غالباً عن ثلاث مراحل رئيسية هي: الانطلاق، والسير ثم الوصول، والعودة في الأخير، ولكل مرحلة زمنية من هذه المراحل وضعها الخاص في نص الرحلة، الذي أخذته الكاتبان بعين الاعتبار، واحترما تتابعه، ولم نجد خرقاً للقاعدة، كأن تسبق الخاتمة الانطلاق، أو أن يبدأ خلال السرد بمرحلة السير والوصول، ثم يرجع إلى حكاية تفاصيل الشروع في الرحلة، كما أن كل فترة تمر على الرحلة خلال سفره، لها ظروفها، وأحداثها، وإطارها المكاني، وشخصها، وفي مقابل ذلك، نجد زمن التأليف تعدد هو الآخر، تبعاً لزمن الرحلة، وكاتبها، وتدخلت في صياغته ظروف، وملابسات عملية التأليف، ومحيطه، ولون الأدب، المشتغل ضمنه، وتقاليد القراءة، وذوق الجمهور، ومنطق القراءة. وتكون زمن التأليف هو الآخر من أقسام ثلاثة تمثلت في: الافتتاحية، والعرض، والخاتمة، فكانت الافتتاحية سبقاً لسرد أحداث الانطلاق، واكتشف العرض، المرافق لنشاطات: التعليق، والاستدراك، والتفسير، والاستشهاد... خلال سرد أحداث الرحلة المتجددة، والمتغيرة، وتلت الخاتمة عملية سرد أفعال الرجوع إلى المنطلق، والوصول إليه.

## 1. الزمان، مفاهيمه وأبرز الجهود النقدية حوله:

شغلت قضية فهم الزمان وتحديد الإنسان منذ القديم، وكانت بمثابة اللغز المحير، والمبهم لدى الفلاسفة والباحثين، فالزمان ظاهرة مجردة، تختلف تمام الاختلاف عن العنصر الملازم له في الطبيعة والفكر، وهو المكان، الذي يتصف بكونه حسيماً، يسهل على الإنسان اكتشافه، وفهمه، وتنظيمه، وتغيير ملامحه، بينما يستحيل على المرء السيطرة على الزمان، بتغيير مساره، أو التحكم في تسارعه، أو الانتقال منه إلى خارجه، أو إلى زمن آخر في الماضي أو المستقبل.<sup>١٣</sup>

يُدرِك الزمان ويعرف، استعانة بالمظاهر الكونية الخسوسة والقابلة للملاحظة، والمرتبطة بحركة الأرض، وتوالي الأيام، والفصول، ولذلك نسبت للزمان صفة الصيرورة، والانقضاء، والتأثير على الكائنات والموجودات؛ إذ يعمل على تغيير أحوالها، وأوصافها، لكنه يبقى غامضاً في ذاته، سعى الكثير من المفكرين، والدارسين، تقديم صورة تقريبية له، والاستعانة بالجزئيات المدركة، أو الخسوسة، كالأبعاد المكانية (قريب، بعيد، هنا، هناك...) وقد عرّفه قديماً الفيلسوف الإغريقي أفلاطون، فقال: «الزمن هو الصورة المتحركة للأزل.. ويبدأ الزمن بأزل»<sup>١٤</sup> فهو صورة ميتافيزيقية، تنتمي إلى العالم المثالي، بقدمه، وأزليته، وخلوده، ويراه أرسطو متجلباً في أبعاد الطبيعة، من حركة وتطور، وهو: «عدد الحركة بحسب السابق واللاحق.. دون أن يكون الحركة ذاتها»<sup>١٥</sup> ويقصد أرسطو بالحركة، نشاط الكواكب، والنجوم، التي يجب على الإنسان كي يتوصل إلى فهم الزمان، أن يمعن النظر فيها، وفي جوانبها، كالمقدار، والعدد، والسرعة، والإبطاء<sup>١٦</sup>، واستطاع الفيلسوف كانط أن يجمع بين النظرة الميتافيزيقية اليونانية، وبين النظرة الجديدة للزمان المرتبطة بحياة الإنسان، حيث قال: «الزمان ليس شيئاً آخر غير شكل الحس الباطن، أعني شكل عياننا لأنفسنا ولحالتنا الطبيعية»<sup>١٧</sup> ولاحظ كانط، ثلاثة أنماط زمنية هي: الاستمرار، والتتابع، والتوازي، مثلما رأى بتعدد من زمن كرونولوجي فيزيائي، وزمن نفسي معاش، مروراً بالزمن اللساني المتفرع هو الآخر إلى زمن تاريخي، واجتماعي، ولغوي نحوي، وهذا الأخير، يتجلى في أبعاد الزمن الصورية الثلاثة: الماضي، والحاضر، والمستقبل.

ومن الفئات التي اهتمت كذلك بمسألة الزمن، ماهيته،

الفعلي، وزمن تسجيله لتلك الأحداث<sup>4</sup>، ويتبين زمن الرحلة الفعلية لأجل ذلك غالبا على بداية السفر، وانطلاق الرحلة فيه، بعد التحضير له، وإعداد العدة اللازمة، ثم ترد كل أحداث التنقل، والممارسة الروتينية للأعمال اليومية، وكذلك الأحداث المصاحبة لها، الممثلة بجانب الجدة، والفجائية، والطرافة، والغرابة في حالات في القسم الثاني والأكثر من الرحلة، ويدخل في هذا القسم كل ما عايشه الرحالة، وأدركه خلال السفر، من رغبة قوية في الانفصال، ثم فرح أو حزن اعتراه تجاه مواقف خاصة، أو شوق أحس به نحو الوطن بعد طول فراق، أو لحظات تأمل، وتفكير عنت له في وضعيات وجد الرحلة نفسه فيها... وغيرها من الأحاسيس الإنسانية المتمثلة في نفس الرحالة، الذي يعايش تجربة السفر بكل ما تحمله من تفاصيل، ولا يقصد في هذا الإطار كل تلك الأفكار، والتأملات، والآمال، والمطامح، التي ترتبط بالزمن الخارجي عن أحداث الرحلة، وينتهي زمن الرحلة بالحدث الأخير، وهو الوصول إلى المكان الأول المنطلق منه نحو أمكنة أخرى، ولقاء الأهل، والأحباب، وما يرافقه من تحية، وتهنئة بالعودة الميمونة، والسلامة.

ويمكن تقديم أمثلة مختلفة عن زمن الرحلة في الرحلتين؛ إذ اكتملت المراحل الزمنية للسفر في رحلتي الأمير عبد القادر، والطيب المهاجي، كما عيّن المؤلفان بدقة زمن الرحلة المتكون من البداية والوسط والنهاية، فحملت البداية في الرحلتين الانطلاق من الجزائر، وخص الوسط فيهما ما يلي زمانيا حدث الانطلاق، وهو متعدد الجوانب، منها ما تعلق بذات الرحالة، ومنها ما خص الآخر، أما النهاية فحملت تفاصيل الوصول التي تتبع زمانيا أحداث العودة والرجوع.

## 2.1.1. زمن الانطلاق:

تأتي البداية المترتبة بفعل الانطلاق في أي رحلة، بعد افتتاحية السرد، وهي تفيد القارئ بإجابتها عن تساؤلات حول هوية فعل السفر، عما إذا كان رحلة بنية الرجوع، أو أنه هجرة عن الوطن، وحول الفاعل، الذي يفسح عن نفسه، ونسبة الأفعال إليه باستخدام ضمير المتكلم الجمعي، أو الفردي، كما تضيئ البداية الزوايا الخيطة بحدث السفر، كأسباب الرحلة ودوافعها، والمكان المنطلق منه، والزمان المرتبط بالانطلاق، المحدد في الرحلات غالبا، بتعيين اليوم والشهر والسنة، ووقت الشروع في الرحلة، وقد يتخلى عن هذا التفصيل، في حالات نادرة، وكثيرا ما تساق إلى كل ذلك تفاصيل أخرى عن الزمن النفسي المتصل بالرحلة، وهو مرتبط بما يعيشه الرحالة، أو يتذكره، وكثيرا ما ترد البداية مكثفة، تلخص، وترتبط بين أحداث رحلية أخرى، ذات صبغة موجهة بمرجعيتها الواقعية، تحيل بطريقة آلية إلى نوع الخطاب الأدبي.

يظهر زمن الانطلاق في رحلة الأمير عبد القادر واضحا، معينا باليوم، والشهر، والسنة، وترد البداية على لسان مصطفى النهامي صهر الأمير، الذي تولى صياغة العديد من مقاطع السيرة الذاتية، والرحلة المضمنة فيها، يقول: «..فكان سفره من وهران مع كباثر دولتها يوم السبت ثاني يوم من شهر شعبان سنة آخر ثلاثين ومائتين وألف [1239هـ] في ركب مروثق اللباس ومحفة الساج»<sup>5</sup> وتبدو في هذا النص نزعة استخدام التسميات والأوصاف، رغم تأطير المشهد الابتدائي للرحلة زمانيا، يسوده الحدث الماضي (كان سفره).

أما الطيب المهاجي، فيتجلى زمن ابتداء رحلته، في لحظات انتظاره بميناء وهران، بعد خروجه من محل السكن، لم تحدد تفاصيله، بينما فضل الكاتب الإخبار عن المراحل التي تلت عزمه على السفر إلى الحجاز سنة خمسين وثلاثمائة وألف

الخطاب، بآرائه المنهجية الدقيقة، حول مستويي الزمن في القصة (زمن الحكاية، وزمن الخطاب)، مبرزا العلاقات الأساسية الناتجة عنهما، كعلاقة «التزيب الزمني» للأحداث في الحكاية، الخاضع للاعتباطية، والواقعية، بتزيبها الزمني في النص القصصي -البعيد عن الواقع، والمترهن باختيار الكاتب، وظروف الحكيم، وضروراته الموجبة للتوضيح، والتفسير، والتعليق، والمؤدية إلى خلخلة التزيب الواقعي للأحداث، والرجوع إلى الورا، أو القفز بالسرد إلى مستقبل الحكيم، أما العلاقة الثانية المرتبطة «بالديمومة»، فهي الواقعة بين الزمن الذي تستغرقه الأحداث في الحكاية المقدر بالساعات، والأيام، والشهور، والسنوات، ومدة حدودها الوهمية في النص، المقدر بالأسطر، والصفحات، وتختص العلاقة الثالثة بما سماه جينات «التواتر»، وهو عدد حدوث الأفعال في الحكاية، مقارنة بعدده في الخطاب القصصي<sup>6</sup>.

وحلل جينات كل نوع من هذه العلاقات، اعتمادا على دراسة تطبيقية لرواية «البحث عن الزمن الضائع» لبروست، كانت لها نتائج قيمة، عرّفت بدقة ما يعرف بالواحد، والسوابق، بأنواعها الداخلية، والخارجية، والذاتية والموضوعية، والكلية والجزئية، والمتضمنة، والتذكيرية، كما عرض وجهة نظره في تحليل المدة الوهمية للزمن القصصي، مبينا الأنساق النصية الناتجة عن المقارنة بين زمن القصة، وزمن النص، وهي أربعة: المجل (الخلاصة)، والفصل، أو المشهد، والتوقف (الوصف)، أو التعليق أو الاستطراد، وغيرها من المقاطع النصية الناجم عنها إيقاف للأحداث)، والإضمار أو الحذف، أما علاقة التواتر، فينجم عنها بعد المقارنة بين ورود الأحداث، وتكرارها في مستويي القصة والخطاب، ثلاثة أنماط من الزمن السردية، وهي: المفرد، والمكرر، والمؤلف P.

## 2.2. الزمن في رحلتي الأمير عبد القادر والطيب المهاجي:

تهدف هذه الدراسة إلى تبيان تجليات الزمن في رحلتي الأمير عبد القادر الجزائري<sup>7</sup>، ومحمد الطيب المهاجي<sup>8</sup>، وهما رحلتان مضمنتان في كتابين من السيرة الذاتية، فدوّن الأمير عبد القادر رحلته إلى الحجاز، والعراق، وسوريا، وهي رحلة مشرقية للحج، والسياحة<sup>9</sup>، كما سجل المهاجي أخبار رحلته الحجبية، انطلاقا من وهران<sup>10</sup>، ولا تتعارض الرحلتان في الطبيعة الزمنية لكليهما، عن طبيعة الزمن في النصوص الحكائية، إذ تتعدد مستويات الزمن فيهما: من زمنين داخليين متعلقين بأحداث الرحلة، وبترتيبها داخل النص، وأزمنة أخرى خارجية ترتبط بالمؤلف، كزمن بداية التأليف، وزمن تدوين الرحلة النهائي، وزمن آخر، متعلق بتاريخ النشر، الذي قد يراهن زمن التأليف، أو يأتي بعده بسنوات، خلال حياة المؤلف، أو بعد موته. ويمكن ملاحظة الفوارق الزمنية بين هذه المستويات، من أن الأول يجري غالبا في الزمن الماضي، ماضي الخطاب، لأن الكاتب يقوم بالرواية رجوعا من الحاضر، باستخدام ضمير المتكلم، أما المستوى الثاني المراهن للخطاب، حاصل في الزمن الحاضر، بينما يدخل المستوى الثالث، في الزمن المستقبل (مستقبل الخطاب)، وستتم دراسة زمنين من أزمنة الرحلة المدونة، وهما زمن الرحلة الداخلي، وزمن التأليف الذي يعد خارجيا.

## 2.1.2. زمن الرحلة:

يشترك عدد من الألوان السردية، كالرحلة والمذكرات، والسيرة الذاتية في عدم استطاعتها في أكثر حالات قراءتها تحقيق الإيهام بالحضور والفورية، لاتصالها بالواقع، والتاريخ الفردي والجمعي، كما أن رواية الأحداث تجري بصفة رجعية، تبرهن على وجود مسافة بين زمن الأحداث، وزمن الراوي



الجزائر (1239هـ) - التي لا تذكر إلا إذا تجددت - ويجري التعيين الزمني على منوال ما سبق بقوله: «وافق نزولنا لمرسى.. مدينة الإسكندرية آخر يوم من رمضان، واجتمع لنا بذلك عيدان: عيد الفطر والسرور بالخلاص من البحر»<sup>z</sup> وهنا تتضاءل الإشارة الزمنية لتحديد اليوم والشهر، دون المدة، التي يقدرها القارئ اعتماداً على ما وجد من تحديد، على أن يرجع التحديد الجديد التام عند حلول سنة أخرى، وهذا في مرحلة السفر إلى دمشق: «فكان سفرنا من المدينة المنورة على دفينها الصلاة والسلام في آخر اخرم، فاتح السنة الثانية من ابتداء سفر الحج، وفي ربيع الأول كان المثوى وطيب الثوى بدمشق الشام»<sup>aa</sup>

وتأتي التقنية الثانية بعد الأولى نصياً، يتم فيها ذكر عدد أيام الإقامة، أو يوم الخروج، والدخول دون الشهر، أو السنة، ربما كان هذا الأمر؛ تحفيفاً من آلية التعيين الزمني لكل حدث، وتنوعاً في أساليب التأريخ، غير أن معرفة الزمن المقصود بدقة، ليس بالأمر المستحيل على القارئ المعين في القراءة، إذ تعد المحاولات التزمنية الدقيقة الأولى مرجعاً أساسياً له، ومن أمثلة التحديد الزمني الثاني قوله: «لم نغم بالإسكندرية إلا قدر ما جمعنا أزوادنا.. وفي اليوم السادس وصلنا القاهرة مصر.. مكنتنا بها اثني عشر يوماً.. سافرنا يومين وليلة إلى مرسى بحر السويس.. وركبنا.. فأرسيها على ينبوع البحر في تاسع يوم من سفرنا ومن بعد غد أرسينا على جدة.. وسرنا منها ليلتين ويوماً بالتلبية والتهليل»<sup>ab</sup>، فالقارئ لما سبق، يستنتج مباشرة الشهر الزمني المؤطر لتلك المراحل، وهو شهر شوال، والذي تستمر فيه الأحداث إلى نهايته، وابتداء شهر ذي القعدة، متتبعا التفاصيل الزمنية الأقل دقة (اليوم السادس، اثني عشر يوماً، يومين وليلة، تاسع يوم، بعد غد، ليلتين ويوم).

أما الأسلوب الثالث، وهو التحديد الغامض، أو النعمية الزمنية، في حالات قليلة، هي للقارئ المجتهد، والذكي ليست بالغامضة، يستطيع معرفة مقدار الزمن فيها ببعض الحسابات، استناداً للتحديد الدقيق، ثم الأقل دقة المعرف بهما سابقاً، وهذا يعد من المجالات المتروكة من قبل المؤلف للقارئ لإكمالها، ومن هذا الأسلوب قوله: «بقينا على ذلك مدة»<sup>ac</sup> أو قوله: «وأقمنا بها [دمشق] مدة من شهر.. سافرنا.. مدة من شهرين بين الإقامة والمشي إلى أن حللنا مصر بغداد.. فأقمنا شهرين بتلك الأماكن.. ثم ودعنا أولئك الناس.. وبلغنا دمشق في مدة سفرها المعلوم.. وأقمنا بها مدة من شهرين.. ثم تحولنا قاصدين الحرمين الشريفين»<sup>ad</sup>، يتأكد الداعي من هذا الغموض النسبي في الزمن، وهو التنوع، لا الإبهام، أو العدول عن أسلوب التأريخ، لأن المؤلف كان يأخذ بيد القارئ بعد كل مرحلة زمنية غامضة، ليطلع به بعض الإشارات الزمنية، أو الأحداث الدينية المرتبطة بمناسبات خاصة، تحيل إلى الزمن الدقيق، كما قد يصل القارئ كذلك، بتتبع مراحل السفر، ومدة التنقل، ثم مدة الإقامة إلى اكتشاف المدة الزمنية، والأيام والشهور الملمح إليها من قبل الكاتب، ومثال هذا قوله: «وأقمنا بها [طيبة] أيام عاشوراء مقدار ما صلينا جمعتين»<sup>ae</sup>، وقوله أيضاً في حجه الثاني (1240هـ): «سافرنا لبكة.. متمسكين بعظام المناسك.. وحينئذ فعلنا جميع ما هو مذكور في آية الحج... ثم بعد إتمام الحج والعمرة.. قصدنا المغرب.. ومنه حللنا القاهرة مصر أيام المولد النبوي»<sup>af</sup>، ففي هذه المقاطع نجد بروز التأريخ الديني؛ إذ ذكر المؤلف في مرحلة زيارته المدينة المنورة في موسم الحج الأول، عيد عاشوراء، المعروفة بمراهنتها بداية شهر محرم، كما نجد الحج الذي كرر القيام به في موسم آخر، وبالتالي تحدث الإحالة إلى شهري ذي القعدة، وذي الحجة، ويرد ذكر مناسبة المولد النبوي الموافقة لشهر ربيع الأول، في مرحلة الإياب بمصر، وهذا خلال السنة الثالثة (1241هـ)، التي لم يشر الكاتب إليها، إلا عند الانتهاء من تفاصيل الرجوع، والوصول، ولقاء الأهل، والأصحاب.

هجرية، وطلب الإذن بالسفر من حكومة الاحتلال الفرنسي آنذاك، وانتظار تحصيله، فقال: «ثم بعد ما تسلمت الرخصة على ما بها من تحديد وتعيين انتظرت قدوم المركب المخصص لنقل الحجاج من ميناء الدار البيضاء وميناء هوران والجزائر وعناية، وفي السابع عشر من ذي القعدة رسا بهران فحمل الذين كانوا في انتظاره من الحجاج وواصل سيره ليلاً»<sup>g</sup>، ويظهر من هذا المقطع الزمني الأول في رحلته، استخدام الزمن الماضي، جاء غير مؤطر كرونولوجياً في: (تسلمت الرخصة، انتظرت قدوم المركب)، ومعين التاريخ في قوله: (في السابع عشر من ذي القعدة رسا، حمل، واصل سيره ليلاً)، وهي أفعال لا تتعدى اليوم المذكور، في حين لا يعلم الزمن الذي قضاه الرحالة في الميناء.

## 2.1, 2.2, المسير والإقامة:

أما القسم الثاني المكون للرحلة، فهو الخاص بمرحلة المسير عند الرحالة نحو المكان الرحلة، والوصول والبقاء فيه، إلى حين الرجوع منه، ويختص الوصول بأهمية قصوى لدى الرحالة، لما له من مجال لتحقيق المرغوب من السفر، وتوسيع آفاق المعاينة والمشاهدة، والاتصال بالآخر، يتشعب في أجوائه ليتعلق بما هو ديني، وروحي، وعلمي، واجتماعي<sup>x</sup>، أما سرد المسير، فهو كثيراً ما يتضمن في الرحلات بنايات حكاية مليئة بالحركة المتلونة بين السرعة والبطء، وحافلة بالمغامرة، والخوف، والحزن، وكذلك التطلع إلى الوصول، ومحاولة الإسراع لتحقيقه، في حين يبقى عنصر الإياب، وهو أصغر جزء في هذا القسم، يحكي في شكل ملخص أحداث السير مرة أخرى، التي تتبع تحقيق المراد من السفر، كإنهاء مناسك الحج، أو انتهاء من تحصيل العلم، والفراغ من حضور ندوة، أو اجتماع، أو مهمة، أو حدث ثقافي، أو انتهاء برنامج الزيارة والسياحة في البلد المقصود، ويأتي بعد كل ذلك، قرار نهائي هو العودة إلى الوطن، الذي لا يتحقق في كل رحلة، ويعد القسم الثاني (الوصول والإقامة) أهم الأقسام، لما يستغرقه من زمن، يفوق زمن البداية والوصول إلى الوطن، ولما يتضمنه من أحداث متنوعة، تجري في إطار مكاني أوسع، وتعد سردية المسير، والإقامة بعد الوصول، والعودة أكبر جزء مكون للرحلة بكاملها.

وعرفنا في عنصر التقديم، وخطاب البداية، كيف اعتنى الأمير عبد القادر بتسجيل الزمن الكرونولوجي بدقة، دون أن يعدد تفاصيل الأحداث، أو يستطيع إعادة صياغة جميع اللحظات التي عايشها في أثناء الرحلة، ولذلك يبدو الطابع العام لسرد الأحداث موجزاً، سريعاً، لا يخفف من سرعته إلا تلك الاستطرادات البعيدة عن زمن الرحلة، أو الفقرات التي يترجم فيها للشخصيات، وتبقى أفعال الترحال، والإقامة هي الغالبة في نصوص رحلة الأمير عبد القادر، من مثل: سافرنا، وصلنا، مكنتنا، وافق دخولنا، وافق نزولنا، ركبنا، أرسينا، لقينا، رأينا... كما نجد في الرحلة أفعال اللقاء، والضيافة، والزيارة للصالحين، والمعاينة للمشاهد.

ويسلك الأمير عبد القادر أساليب خاصة، ويعتمد تقنيات مختلفة في ترمين رحلته الشرقية، متعددة الأغراض من حج، في موسمين، وزيارة لعلماء، وصلحاء وأعيان، في مصر، والحجاز، والشام، والعراق، وكذلك اطلاع على الحياة بمختلف جوانبها في المشرق العربي، استعداداً لتسلم الحكم من والده محيي الدين، وتمثل تلك التقنيات في التحديد الدقيق باليوم والشهر والسنة للانطلاق، والوصول، وكان ذلك في المراحل الأولى من رحلته حتى مرحلة القاهرة، كقوله: «وافق دخولنا.. تونس المؤنسة أول يوم من رمضان في السابع والعشرين يوماً من يوم مسيرنا»<sup>y</sup>، كان المؤلف سلفاً قد حدد سنة الخروج من

ونضيف إلى ما عرّفنا به من زمن طبيعي، وفيزيائي، يحافظ على كرونولوجية الأحداث، والنصوص، زمنا آخر، يتصل بالزمن الداخلي السيكولوجي لشخصية الرحالة، وفيه توطر الأحداث في الماضي، لكنها تترك المجال الزمني مفتوحا ليندخل حاضر الماضي ومستقبله كذلك في الأحداث، كما يتغير السياق، ليصبح سياقاً وجدانياً تعبيرياً، أكثر منه سياقاً إخبارياً، تبرز فيه العناية بالأداء اللغوي، واستخدام العبارات الاسمية، الدالة على الدوام، والثبات في الزمن، ونجد هذا الزمن في الأحداث الدينية، المؤثرة كالحج، وزيارة المواقع المقدسة: «.. وابتدأنا بسند طواف القدوم.. والناس بين داع وقارئ وملب وخاشع، وقانت.. وجالس ينظر تلك المشاهد.. والمسلمون يتزايدون من كل فج عميق، ليشهدوا منافع لهم باليقين الحقيقي...»<sup>ag</sup>

وتقترب كثيراً رحلة الطيب المهاجي، من رحلة الأمير عبد القادر، في حرص المؤلف على التحديد الزمني للأحداث، وتأريخ أهمها، ضمن مشروع سيرري عام، يهدف إلى تسجيل المراحل الهامة من حياته، ومنها رحلته الحجية، التي من ورائها استطاع لقاء العلماء، والاستزادة في العلوم، وبالتالي توسيع خبراته في الحياة، وتختص الرحلة في أنها لم تحفل بالمسار المتبع نحو الحجاز؛ كونها كانت بحرية، بدا زمن تلك المرحلة في الأول سريعاً جداً، ألمح إليها في النص بقليل من العبارات السردية، بصيغة ماضية: «من الغد أصبح بميناء الجزائر ثم استأنف السير إلى عنابة فحمل من كان بها ينتظر، فكان على ظهر المركب نحو الألف والأربع مائة نسمة ثم أبحر من عنابة إلى جدة فقطع المسافة البحرية في ثلاثة عشر يوماً بلباليها»<sup>ah</sup>، وقد جاءت هذه الجملة موجزة، متصلة بمشهد الانطلاق، تقدم معلومة إضافية عن مدة المسير نحو جدة (ثلاثة عشر يوماً)، إذا أضيفت إلى عدد أيام الشهر المنقضية من ذي القعدة، قبل سفر الرحالة (سبعة عشر يوماً)، يتم هذا الشهر لتدخل الرحلة شهراً جديداً.

غير أن المهاجي، لم يحافظ على هذه السرعة السردية؛ إذ بواسطة استرجاع داخلي يرجع للقارئ إلى ما حدث أثناء الإبحار، من وهران إلى جدة، حيث انشغل بتعليم مناسك الحج للحجاج المغاربة، قال عنه: «.. صرت أقرأ درسين بالغدو والعشي من كل يوم إلى أن نزلنا جدة، وكان أكثر أهل المركب يحضرون الدرس.. ولما قاربنا جدة كان آخر دروسي حديثاً من أحاديث التزغيب والتزهيب للمندري...»<sup>ai</sup> ويلاحظ تكرار المنهج السردى ومرواحته بين السرعة والإبطاء، في النص الأخير، حيث أجمل الحديث عن دروس الحج التي قدمها للحجاج بالمركب، ثم رجع باسترجاع آخر ضمن الاسترجاع الأول، فصل فيه فحوى الدرس الأخير، ورواية حديث من أحاديث الرسول الكريم، ثم أردف ذلك بتبيان أثر الحديث على السامعين، من فرح وبشرى، وطلب عالمين مغربيين الإجازة لهما برواية الحديث.

ويظهر الزمن في بعض نصوص المهاجي متعلقاً بالمناسبات الدينية، كما ورد في رحلة الأمير عبد القادر، مثل قوله: «ثم إننا نزلنا بجدة عشية الأربعاء، وبعد غروب الشمس رأى الناس هلال ذي الحجة ففرحوا واستبشروا.. وأصبحنا من الغد بجدة ننتظر أن يؤذن للسيارات بنقل الحجاج إلى مكة، وفي أثناء النهار من نفس الغد وهو يوم الخميس فاتح ذي الحجة استأنفنا السفر إلى مكة فدخلناها من يومنا.. أقمنا بها تسعة عشر يوماً معدوداً منها يوم عرفة، وأيام منى اجتمعنا أثناء تلك المدة داخل المسجد الحرام.. بعلما..»<sup>aj</sup> يتضمن هذا النص مستويات أساسية، تكوّن خطاب الرحلة، وتدعم فيه الإثبات اليقيني للأحداث، وتتوّع من الفعل الدينامي الذي يمتاز به نص الرحلة، من هذه البنى - المتصلة دائماً بإطار زمني ماض غالباً ما يلي جملة الفعل - بنية الحركة، التي تحويها بنيات صغرى من المسير والوصول (نزلنا، استأنفنا السفر، دخلناها)، وتأتي البنية النصية الأخرى المجسدة

لفعل السكن، والانتظار، خلال الإقامة في المكان، الذي لا يعني سكونا كاملاً عن الحركة، بل توقف فعل السفر، لتصل به أعمال مختلفة، منها ما ذكرها المهاجي في النص (رأى، فرحوا، استبشروا، أصبحنا ننتظر، أن يؤذن، أقمنا، اجتمعنا)، وكل هذه الأفعال تقوم بتصوير حالة الحركة، والسكون، كما أنها تربط بين الجمل السردية، والوصفية، لتنتج خطاباً متماسكاً، محكم الإتيان، يجتهد الكاتب كثيراً في اختياره لنقل ما هو واقعي، حقيقي، يحيل إلى المرجع المكاني والزمني، مثلما وجدنا في النص السابق (جدة، ومكة، داخل المسجد الحرام، شهر ذي الحجة، يوم الأربعاء، والخميس، العشية، غروب الشمس، الصباح، النهار، يوم عرفة، وأيام منى).

ومن يقرأ رحلة المهاجي، يلاحظ ظاهرة تداخل مستويات الاسترجاع للأحداث، مسبوقه بالفعل الماضي كان، تتخلله فقرات، ونصوص استطرادية، تعرّف بالآخر في الرحلة، أو توثق ما هو تاريخي، عن طريق التوسع في أخبار شتى دينية، وسياسية، واجتماعية، وقد يكون تفسير ذلك، وجود مسافة زمنية معتبرة بين الرحلة وتدوينها، جعلت وقائع الفعل الرحلي من مذكرات الذاكرة، التي تتحكم في عملية تخزين الماضي، فتشط في شكل انسيابي، لا يخضع لقوانين انسيابية الزمن الفيزيائي، بل إلى الكاتب، ومحيط الكتابة، وتصور القارئ، والحالة الشعورية للمؤلف في حاضر الكتابة، وستعرض لاحقاً إلى الاسترجاع وخصوصياته في رحلة المهاجي، وكذا أمثلة منه.

## 2.1.3. الوصول:

تتوفر رحلتنا الأمير عبد القادر والطيب المهاجي على تيمة الوصول النصية المعهودة في فن الرحلة، وهي التي تجلي زمن الوصول إلى الوطن المنطلق، وقد جاءت موجزة، خاصة أن مراحل السفر الأولى تصبح غير جديدة على القارئ، فلا يحتاج إلى التفصيل فيها، كما أن الذي يهم مواطني الرحالة، هو معارف ترتبط بالمشرق، وبالبلدان المجهولة لديه.

يعرض الأمير عبد القادر نهاية السفر، والوصول إلى الوطن، ومحل السكن، فيقول: «ومن القيروان إلى «الكهف» ومنه طريق ابتداء سفرنا أولاً حتى وصلنا وأوطاننا ولقينا أهلها، أفواجا، على مسيرة عشرة أيام بالتهنئة المعلومة شرعاً فقاتل يقول «مبوراً مأجوراً» أي قدمت ذلك. وقاتل يقول: «حج مبرور وذنب مغفور» وآخر يطلب الدعاء له بالمغفرة، وآخر يمدح بقصيدة، وكان ققولنا بمنزلة النعائم الثانية من منازل الشتاء.. إلى أن استقر بنا المثوى وطاب لنا المعاش والمأوى بمحل الأب والجد.. وكان وصولنا في العام الثالث من ابتداء السفر»<sup>ak</sup>، وتعد مثل هذه النهايات نمطية في النصوص الرحلية، كثيراً ما تعبر عن فرح الرحالة بالأهل عند ملاقاتهم، وتهنئة الناس له بإتمام الحج، لتسجل بعد ذلك بعض أحداث الإقامة التي تتلو الوصول، والملاحظ في النص أن الأمير اكتفى في النهاية بالتلميح إلى عام الرجعة، استناداً على عام الطلعة نحو الحج 1239هـ، فيكون الوصول سنة 1241هـ.

وانتقل الطيب المهاجي مباشرة من مرحلة وجوده بالحجاز، إلى مرحلة الوصول إلى الوطن، فقال: «ولما عدت من الحجاز تواردت علي من أصدقائي ومعارفي رسائل النهاني نثراً ونظماً، كما هي عادتهم معي عند كل مناسبة، ولما فيها من المبالغات في الإطراء ومغلاة في المدح.. قام بالنيابة عني [تلميذ له] أتم قيام حتى رجعت من سفري الميمون المبارك الذي بلغت فيه ما رمت وتم لي بواسطته ما قصدت وانتهى بسلام والحمد لله في البدء وفي الختام والصلاة والسلام على أشرف الأنام سيدنا محمد سيد ولد عدنان وعلى آله وأصحابه الذين أكرمهم الله تعالى بالرضى والرضوان»<sup>al</sup> تعرّف نهاية سرد رحلة المهاجي،



الأمير لاصطحاب ولده في رحلته إلى الحج، ويعد ذكر الأسباب والدواعي من المهدات النبوية المكونة لكثير من الرحلات.

وتختلف بعض الشيء افتتاحية التأليف في رحلة المهاجي؛ التي يقول فيها: «كنت سنة خمسين وثلاثمائة وألف عوّلت على السفر لأداء فريضة الحج، فطلبت رخصة السفر التي لا تنال ولا يمكن الحصول عليها إلا بعسر بسبب ما تطلبه الحكومة من المفروضات التي فرضها القانون الفرنسي على المسافر والتي هي مجرد عراقيل يضعها الاستعمار في طريق اجتماع المسلم بأخيه في صعيد واحد، وبعد صعوبات حصلت على رخصة لا تتعدى مدتها أربعين يوماً ذهاباً وإياباً في مركب مخصوص.. هذه هي التسهيلات التي تمنحها الحكومة الفرنسية حجاج الجزائر...»<sup>90</sup> استخدم المهاجي زمنين، الأول ماض بسيط في حديثه عن العزم على السفر، وطلب الرخصة، ثم الحصول عليها، وهي من التحضيرات المادية التي تسبق بداية الانطلاق في الرحلة، لكنه استعمل الحاضر لطرح قضية سياسية، فاضحة لأعمال المحتل الفرنسي، استدعتها ظروف التأليف؛ إذ وجد الكاتب نفسه يخوض موضوع الرخصة عسيرة المنال بالنسبة للمواطن الجزائري، والقيود المفروضة على كل من يرغب في السفر، هذا النوع من المقدمات - وإن وجد في الرحلات - قليل، يستخدمه الكاتب لظروف خاصة مرتبطة بالخطب والعالم الخارجي، الذي يؤثر فيه، ويختمه على طرق مواضيع اجتماعية، وسياسية.. للتعبير عن آرائه في مسائل من تلك النواحي.

## 2.2.2. العرض:

يتجلى في قسم العرض لأحداث الرحلات بعض من زمن التأليف، ويظهر زمن التأليف خلال تفسير الكاتب لحدث ما من أحداث الرحلة، كما قد يبرز في محاولات التنسيق بين فقرات النص، ومجموع الأحداث، وعمليات الترتيب لها، وفي لحظات توهم الكاتب لقارئ أو متلق متابع للسرد، أو معارض لما قد يطرحه الكاتب من أفكار، أو يختاره من أسلوب.

وللأمير عبد القادر، الكثير من الاستطرادات، والخروج لسرد أحداث تاريخية، أو تقديم مثل، أو طرفة، أو أبيات شعرية، تؤدي بالضرورة إلى إدماج بعض العبارات التنسيقية، التي تعمل على إرجاع القارئ إلى صلب الحكاية (الرحلة)، وغالباً ما تأتي تلك العبارات موضحة بلفظ رجوع،... ويخاطب في ذلك القارئ، ويوجه فكره إلى ما سبق وإلى ما سيأتي من أخبار، ومن هذا قوله إثر استطراد في الفتن، التي وقعت بعد خروجه إلى الحج: «... وأنت خبير بأننا رتبنا هذه الأمور المسرودة قبل، على أمر التجاني الذي كان أخوه زمان طلعتنا للحجاز.. مع كوننا لم نتم قصته، ولا أكملنا في شأن السفر الحجازي، وما آل إليه الأمر.. وحقنا أن نذكر ذلك مفصلاً مرتباً، ليجري الكلام على سنن واحد، لكن إنما غيرنا بين الأساليب وارتكبنا هذا التركيب، تلويحاً لتحسين الكلام، وانتقالاً من مقام إلى مقام، لأن المسير مع طريق واحدة، وإن كان موصلاً للمقصود، إلا أن بعد المأخذ وكون المساق على وتيرة متحدة، يلزم الإنسان من ذلك الملل والأضجار...»<sup>91</sup> توسع الكاتب في مسألة الاستطراد، وفائدة التنوع في المقامات، من تلوين للكلام، وتحسين له، وتشويق لقارئه، وإن كان الزمن هنا ماضياً، إلا أنه خص زمن التأليف لا الرحلة.

كما يلتفت الأمير عبد القادر بعد عبارة سردية ضمت زمن رحيله من مصر إلى ليبيا عبر صحراء بركة، إلى شرح قول متواتر على الألسنة، ينسب للقاضي عياض فيقول: «(والمهامه: المفاوز القفرة، والفيح: الواسع) وحيرة القطا كناية عن شدة عطشها وقلة مائها فذلكت عبر بالقطا الذي يقولون إنها تهتدي إلى الماء من مسيرة عشرة أيام، وفي أمثال العرب السائرة ما يدل على ذلك.»<sup>92</sup>

بمحصول ما استفاد، كنبيل المراد المتمثل أساساً في حج بيت الله، ولقاء علماء الحجاز، لتكملة تكوينه العلمي، وقد أضاف على ذلك حمد الله على إتمام الرحلة، والصلاة على الرسول المختار، وعلى آله، وصحبه، وتجدر الإشارة هنا إلى تردد ألفاظ الإتمام، والانتها، والختام، كلها تعلن عن تحقق نهاية السفر، ونهاية الكتابة عنه كذلك.

## 2.2.2. زمن التأليف:

يتألف زمن التأليف من الأحداث المراهنة لحاضر الكتابة، أو التدوين النهائي<sup>am</sup>، الواقع بعد الانتهاء من الرحلة، كالترجمة للأعلام، واستنساخها زمانياً إلى حاضر المؤلف، والقيام بوظائف التنسيق، والتعليق، والمقارنة، والشرح والتعليل للحوادث، التي تترك المجال في الحديث لشخص الكاتب كراو للرحلة، لا كمنجز لها، ويظهر زمن التأليف في النص الرحلي بمختلف أشكاله، في الافتتاحية، والعرض، وكذلك في خاتمة السرد.

## 2.2.1. الافتتاحية:

تشكل الافتتاحية خطاباً يضطلع بمهمة التمهيد، والتأطير، وتقريب طبيعة النوع من القارئ، وتوجيهه بعد ذلك ليستقبل ما سيأتي لاحقاً، كما تتضمن ذلك الوعي الذي اكتسبه المؤلف بأهمية الرحلة ككون أدبي له أسلوبه في الكتابة، وله تاريخه العريق في أدبنا العربي، والواقع أن هذا الوعي لا يتجلى نصياً فحسب، وإنما يدل عليه فعل الكتابة والمشاركة في هذا الفن، وغالباً ما تكتب الافتتاحية بعد الانتهاء من تدوين نص الرحلة، مع أنها تحمل عناصر تسبق زمنياً النص، وتسعى إلى الإقناع، والدفاع عن النص والفكرة، وعن النوع، قد تأتي معنونة، أو دون عنوان، وقد يسبقها فعل البسملة والحمدلة، وذكر فضائل الله، وفوائد العلم، كما في الرحلات القديمة، أو يدخل الكاتب مباشرة في التقديم لرحلته، وتلخيص فحواها، أو عرض أفكار أولية عنت له، وجدها ذات صلة بموضوعه الأساسي، كذلك يعرف المؤلف بحافز الخروج، والسفر، كما قد يتبعه بحافز التدوين لما رأى، وعاش أثناء السفر، ويقدم للرحلة بسرد الاستعدادات المادية والنفسية التي تسبق زمانياً الرحلة، وكلها تدخل في غرض التقديم للحكاية الأساسية، وهي حكاية الرحلة، وتأتي المقدمات والافتتاحيات بضمير المتكلم، كما قد يختار لها المؤلف ضمير الغائب، وقد تتغيب الأنا في حالة الخطاب الديني المتضمن لآيات قرآنية، ومواعظ، وحكم، وأدعية، وعلى العموم تضم المقدمات الرحلية الماضي بمفهومه الواسع، الذي يشمل أزمنة مختلفة تاريخية، وسياسية، واجتماعية، وشخصية.. وغيرها.

جاءت مقدمة رحلة الأمير عبد القادر، (الفصل الرابع من سيرته الذاتية) بصيغة الغائب؛ قد يرجع ذلك إلى مشاركة مصطفى التهامي الأمير عبد القادر في تدوين الرحلة، لكن بمجرد ما يُشرع في سرد أحداث الانطلاق، يختفي ضمير الغائب، ويحل محله ضمير المتكلم، الذي يؤصل للذاتية، ويوحد الكاتب مع الراوي والشخصية الفاعلة: «فليعلم الناظر أن مبادئ رشده الأكمل ومنهجي جنانه الأجل بعد أن حصل السياسة الأدبية بالوطن وحاز الرياضة العملية في كل سكن وقطن قصد والده المذكور أنفا المآثر الحجازية وارتحل به مجاوزين القرى والضواحي الحقيقية والحجازية ليمتحن من كل بلد اجتاز به بأخلاق أهله وتقرب عين أبيه بمناقب فعله وليحوز معرفة حواضر الأمصار ويعرف الخاصة والعامة بحسب الأعصار، فكان سفره من وهران...»<sup>an</sup> تحمل العبارة الأولى، دعوة وحضاً للقارئ المجهول، المتهم من الكاتب، على متابعة القراءة للتعرف على ما تمثله الرحلة للأمير عبد القادر، وعلى الدواعي الرئيسية التي أدت بوالد

## 2.2.3. خاتمة السرد:

تختص رحلة الطيب المهاجي بتحقيق عنصر «الخاتمة»، التي ترتبط بزمن تأليف الرحلة، وإن كان المهاجي قد عبّر بوضوح، وفي شكل متوسع عن زمن الانتهاء من السفر، إلا أنه اقتصد في اختتام القسم المخصص لرحلته الحجازية، ضمن السيرة الكبرى لحياته؛ فقال: «انتهى ما يتعلق بالمقصد الثاني»<sup>av</sup>، وهو قسم من أقسام الكتاب، الذي جعله المهاجي لسرد فترة طويلة من حياته، قضاه في التعليم، ابتداء بتعلم الكتابة والقراءة، إلى تحصيل الإجازات المختلفة، من علماء المغرب والمشرق.

ونخلص في الأخير، إلى أن الدراسة الزمنية واسعة الأفق، ولو حاول الباحث استيفاء عناصرها لضاق عنه المجال، لهذا اختارت هذه الدراسة، أن تجلي عنصرين فنيين اثنين على الخصوص، وهما زمن الأحداث، وزمن التأليف، دون خوض مسائل زمنية كثيرة أخرى مما توصل اليه البحث الحديث إليها، من مثل التنويعات الزمنية، والتقنيات المختلفة لتجسيد الزمن الواقعي كاللتابع، والتزامن، والتضمين،... وإن كانت الدراسة تحيل إلى كل ذلك، عن وعي يتواجدها في النصوص المفسرة، وتسجل كلما أتاحت الفرصة لذلك، خلال تحليل الزمنين المتغيرين في المستوى، وهما: زمن الرحلة الداخلي (قصة الرحلة)، والمتعلق بحياة الرحالة، وحركات تنقله، وما راهنه، وزمن الكتابة الخارجي، الخاص بمؤلف الرحلة، الذي يقوم بعملية استعادة مجريات الرحلة، لقراء يتوهم وجودهم مسبقا، يتابعون الأحداث، ويتولون الحكم بالنجاح، أو الفشل على تلك العملية.

ويتوجه المهاجي بالخطاب إلى قارئ مجهول، يدعو إلى التعرف على سيرة أحد المجاهدين الليبيين أحمد الشريف السنوسي الخطابي، فقال: «.. ومن أراد الوقوف على ما لهذا الرجل العظيم من كرم الأخلاق والشيم.. فليراجع ما حلاه به أمير البيان الأمير شكيب أرسلان في تعليقه على حاضر العالم الإسلامي»<sup>ar</sup> وظهر الكاتب مرة أخرى خلال الترجمة دائما لهذا العالم المجاهد، حينما قال: «كان هذا العارف بالله مولانا الشيخ سيدنا أحمد الشريف السنوسي الذي نتحدث عنه..»<sup>as</sup> فيأتي لفظ الحديث في الحاضر الدال على آنية الكتابة، وفي قوله أيضا: «.. إلى أن انتقل الأستاذ من مكة المكرمة بعد سنوات إلى المدينة المنورة سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة وألف وتوفي رحمه الله من تلك السنة يوم الجمعة ثالث عشر ذي القعدة، ودفن بالقيع»<sup>at</sup>

وفي موضع تفسير، واستطراد بعيد عن أحداث التنقلات، يجبرنا المهاجي عن تدابير تنظيمية لحركة تنقلات الحجاج بين مكة والمدينة، ومكة ومنى، فقال: «من أجل أن الحكومة رتبت خروج السيارات التي أعدت لنقل الحجاج من مكة إلى المدينة، فينتظر الحجاج نوبته اليومين والثلاثة، ولربما أكثر، ومع هذا الانتظار لا تخرج السيارة إلا بإذن الحكومة المحلية، كما أنها لا تخرج إلا في الوقت المعين لها»<sup>au</sup> وتفيد عبارة (من أجل أن) نية التعليل لدى المتحدث، وإن كان الزمن متعلقا بالماضي، إلا أنه مستمر إلى حاضر الكتابة؛ حيث تلك التنظيمات من الأعمال الدائمة، والتعودية.

## الإحالات:

### (Endnotes)

- a: ينظر خصائص الزمان، ونظرة الشعوب له عبر التاريخ: سيزا قاسم، القارئ والنص، العلامة والدلالة، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، 2002، ص. 102-67.
- b: أحمد طالب، الزمان من الفلسفة إلى الأدب، أفلاطون، وابن رشد حتى برغسون وآلان روب غرييه، «مقال»، كتابات معاصرة، لبنان، ع. 56، ص. 104.
- c: لطفي سيد محمد، جماليات الزمان من الفلسفة إلى الأدب، أفلاطون، وابن رشد حتى برغسون وآلان روب غرييه، «مقال»، كتابات معاصرة، لبنان، ع. 56، ص. 104.
- d: أحمد طالب، الزمان من الفلسفة إلى الأدب...، ص. 104.
- e: بشير بويجيرة، بنية الزمن في الخطاب الروائي، 1970-1986، المؤشرات العامة في بنيتي الزمن والنص، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002، ص. 17.
- f: Emile Benveniste, Problèmes de linguistique générale, édition Gallimard, 1966, tome 2, p. 73-83.
- g: Oswald Ducrot et Tzvetan Todorov, Dictionnaire encyclopédique des sciences du langage, édition du seuil, 1972, p. 390-391.
- h: من المنظومات الفكرية ما تعطي تصورا هابطا لحركة الزمن، وصيرورته، بوضع الماضي في القمة، ويمثل الجانب الإيجابي، والمثالي من حياة الشعوب، ومن المنظومات ما ترى مسار الزمن في صعود، وفق نظرة تفاعلية للمستقبل، غير أن الشائع في الدراسات اللسانية، والنقدية تصور اتجاه الزمان نحو الأمام (المستقبل)، وارتداده إلى الخلف (الماضي)، اعتمادا على المركز (حاضر الخطاب)، أنظر: سيزا قاسم، القارئ والنص، ص. 73-70.
- i: محمد زيوش، تحليل الخطاب الروائي الجزائري، الأعرج واسيني نموذجاً، إشراف الدكتور درافي الزبير، رسالة لنيل الماجستير، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة تلمسان، 1998-1999م، ص. 58.
- j: ميشال بوتور، بحوث في الرواية الجديدة، تر. فريد أنطونيوس، منشورات عويدات، بيروت، ط. 1، 1971، ص. 180-102.
- k: من البحوث القيّمة التي قدمها بارث في تحليله للزمن الحكائي، أو زمن السرد الدرجة الصفراء للكتابة، تر. محمد برادة، الشركة المغربية للناشرين المتحدّين، الرباط، ط. 3، 1985.
- Roland Barthes, Introduction a l'analyse structurale des récits, in poétique du récit, édition seuil, 1977.
- l: Ibid, p. 25-27.
- m: عبد الصمد زايد، مفهوم الزمن ودلالته، الدار العربية للكتاب، ليبيا- تونس، 1988، ص. 17.
- n: Tzvetan Todorov, les catégories du récit littéraire, in communication 8, édition seuil, 1981, p. 145- 147.



## للتعرف على نتائج جينات في الدراسة الزمنية

للقصة، أنظر:

Genette (Gérard), figures 3, edition du seuil, 1972.

جيرار جينات: -خطاب الحكاية، بحث في المنهج، تر. محمد معتصم وآخرون، المجلس الأعلى للثقافة، ...، ط. 2، 1997، ص283.

عودة إلى خطاب الحكاية، تر. محمد معتصم، المركز-

الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط. 1، 2000، ص208

استفادات العديد من الدراسات العربية الحديثة من آراء جينات في تحليل الزمن، منها: أعمال سيزا قاسم، وسعيد يقطين، وحسن مجراوي، سامي سويدان... وغيرهم كثير

ولد عبد القادر بن محيي الدين بن مصطفى بن محمد المختار سنة (1222هـ-1808م)، بقرية القيطنة قرب وهران، عاش في أسرة دين وعلم، سافر مع والده رغم صغر سنه إلى الحجاز عام 1239هـ، وقام بالحج مرتين خلال هذه الرحلة، قبل ذهابهما إلى الشام، ثم بغداد، وبعد رجوعهما من هذه الأخيرة، قضى عمره في جهاد المحتل الفرنسي، إلى أن نفذت قوته، وضعفت وسائله أمام المواجهة، قرّر إثرها الاستسلام سنة 1262هـ، فغادر الجزائر مع أهله إلى سجن في باريس، وعندما أطلق سراحه اختار السفر إلى تركيا، ثم دمشق، وحجّ مرّة أخرى سنة 1279هـ، ثم توجّه إلى الآستانة، وعاد بعد ذلك إلى دمشق ليقيم فيها حتى وفاته سنة (1300هـ-1883م)، من مؤلفاته ديوان من الشعر، وكتاب يسمّى «المواقف» في التصوّف، وكتاب في المذكرات

عبد القادر الجزائري، مذكرات الأمير عبد القادر، سيرة ذاتية، تح. محمد الصغير بناني وآخرون، شركة دار الأمة للطباعة والترجمة والنشر والتوزيع، ط. 2، 1995

ولد الشيخ محمد الطيب المهاجي بن المولود بن مصطفى المهاجي، عام 1300هـ الموافق لـ 1882م، بقرية أولاد سيدي الفريح المهاجي المعروفة بـ «أمهاجة»، من ضواحي وهران، التي درس فيها أول مراحل حياته، وكانت محل علم، وعناية به من قبل أهلها، وأقام في وهران دارسا ومدرسا ابتداء من سنة 1907م، وأنشأ مدرسة عربية حرة لتعليم العلوم الشرعية واللغوية، التي نبغ فيها، حتى اشتهر بين العام والخاص، في الجزائر وخارجها، وسبب انشغال الشيخ بالتعليم، والإصلاح الديني، والاجتماعي، قلة في التأليف عنده؛ خاصة وأن حياته راهنت وجود المحتل الفرنسي الغاشم في البلاد، فظل الشيخ ينتقد أعماله، من تقييد للحريات، ومنع تطور العلم في البلاد، وإحكام السيطرة على الشعب الجزائري، عرف بإتقانه للغة العربية، ولأساليبها، مثلما كانت عنايته بالدين، والتاريخ، والتزاجم، والتي تظهر جليا من مؤلفه المشهور «أنفس الذخائر وأطيب المآثر في أهم ما اتفق لي في الماضي والحاضر»، الذي أنهى تأليفه عام 1379هـ-1961م، سافر المهاجي إلى فاس، بالمغرب الأقصى عام 1346هـ، كما ارتحل المهاجي إلى تونس سنة 1348هـ، وجزّب السفر مرة أخرى سنة

1350هـ، لغرض القيام بفريضة الحج، ولقي في هذه الرحلة علماء وشيوخ، وفاز بإجازات علمية برواية ما أخذه عنهم، قضى الشيخ حياته مشتغلا بالعلم، والتعليم، وكان له فضل في تخريج العديد من الشيوخ، وحفظه القرآن، كما ساهم في التأليف، وإن كان مقلا فيه، فعرف له إضافة لكتاب أنفس الذخائر، كتاب مختصر في المنطق، ورسالة في التصوف، ورسالة في باب معرفة علامة الإعراب، وأخرى في تزويد الحاج بالمناسك المعوزة لمذهب الإمام مالك، وقد توفي الشيخ بوهران عام 1387هـ-1969م، ودفن (بمقبرة مول الدومة

محمد الطيب المهاجي، أنفس الذخائر وأطيب المآثر في أهم ما اتفق لي في الماضي والحاضر، الشركة الجزائرية للطبع والأوراق، وهران، د. ت، ص128

أ.أ. مندلاو، الزمن والرواية، تر. بكر عباس، دار صادر، بيروت، ط. 1، 1997، ص. 126

عبد القادر بن محيي الدين، مذكرات، ص. 104

الطيب المهاجي، أنفس الذخائر، ص. 68

شعيب حليفي، الرحلة في الأدب العربي، التجنيس... آليات الكتابة، خطاب التخيل، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط. 1، 2006، ص. 234

عبد القادر بن محيي الدين، مذكرات...، ص. 105

المصدر نفسه، ص- ص. 106-107

المصدر نفسه، ص. 127

المصدر نفسه، ص- ص. 108-109

المصدر نفسه، ص. 109

المصدر نفسه، ص- ص. 129-132

المصدر نفسه، ص. 110

المصدر نفسه، ص- ص. 132-133

المصدر نفسه، ص. 109

الطيب المهاجي، أنفس الذخائر، ص. 68

المصدر نفسه، ص. 68

المصدر نفسه، ص- ص. 70-71

عبد القادر بن محيي الدين، مذكرات...، ص. 136

الطيب المهاجي، أنفس الذخائر، ص. 79

لا يقصد هنا لحظات التدوين الأولى، الذي يجبر عنه الكاتب، أو يعرف ضمينا من النص، لأنه يتزامن مع أحداث الرحلة الفعلية

عبد القادر بن محيي الدين، مذكرات...، ص. 104

الطيب المهاجي، أنفس الذخائر...، ص. 67

عبد القادر بن محيي الدين، مذكرات...، ص. 123

المصدر نفسه، ص. 134

الطيب المهاجي، أنفس الذخائر، ص- ص. 72-73

المصدر نفسه، ص. 74

المصدر نفسه، ص. 75

المصدر نفسه، ص. 76

المصدر نفسه، ص. 79